نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري

م.م. نادية نوري علي

الملخص

تزخر كتب التراث الجغرافي العربي بذكر المدن والحواضر التي أعمرها العرب واستقروا بها وتتوسع كتب التاريخ في شرح كثير من تفاصيل خططها وحياة الناس فيها.هذا بالإضافة إلى مصنفات اللغة والأدب والفلسفة في إيضاح معاني تسمياتها ودلالاتها . ومما بلغت النظر ان هذا الإبداع والأصالة في بناء وعمران مدينة البصرة ومقوماتها تمت على أيدي وأفكار أهل الخيرة والحكمة من الخلفاء والولاة ، وكان بناءها ينطلق من فكر منهجي نير رسم إبعاد حياة عاشها الناس وتمتعوا بأفضالها ومحاسنها . وهذا ما كشفته الدراسة عن حقائق عمرانية أساسية في مخطط المدينة ورسم خصائصها بكل ما تضمنته المدينة من محلة وبيوت أو سكن وأزقة ومحلات وشوارع وأسواق وجامع ودار للإمارة وكذلك في اختيار مواد البناء بما يتلائم مع ظروف المناخ السائدة آنذاك فلم يكن التعمير والبناء اعتباطاً بل كان وفق ما خططه الخليفة وما أمر به لبناء وتعمير المدينة وباختيار الموقع والموضع المناسب لبناء وتعمير المدينة بما يتلائم ويتناسب مع حياة الناس خاصة بالنسبة لموقع شبه الجزيرة العربية آنذاك وما تضمنه من ظروف مناخية حارة فكان لابد من اختيار الموقع المناسب ومن ثم البناء والتعمير.

Abstract

Rich in heritage books mention the Arab geographer and urban cities which Oamrha Arabs and settled in and expand the history books to explain many of the details of their plans and lives of the people in it. This is in addition to works of language, literature and philosophy in clarifying the meanings of names, implications. It was considered that this creativity and originality in the construction and Amran city of Basra and its components are made to the hands and thoughts of the people of the good and the wisdom of the caliphs and governors who lived in the countryside and lived the life of migration and the movement from time to time, and was built stems from the thought of a systematic yoke to draw away the lives of experienced people and enjoy Bavdalha and merit . This is revealed by the study on the realities of urban core in the scheme of the city and charge characteristics of all the contents of the city from the locality, houses, housing and alleys, shops and streets and markets and a mosque and a home for the Emirate, as well as in the selection of building materials to suit the climatic conditions prevailing at the time was not the reconstruction and construction haphazardly but was as plans caliph and ordered for the construction and reconstruction of the city and choose the site and the appropriate placement for the construction and reconstruction of the city in line and commensurate with the lives of people especially for the site of the Arabian Peninsula at that time and the content of the climatic conditions hot it was necessary to choose the appropriate location and then building and reconstruction.

المقدمة

يعد الإسلام من بين أكثر الأحداث أهمية في التاريخ البشري، فقد أثر في حياة البشر ومن بين تلك التأثيرات، وهي كثيرة ، التشجيع على السكن في الحواضر، المستقرات الحضرية، فكانت هذه الحواضر المراكز المهمة لاستقرار سكان شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم امتد هذا النمط من الاستقرار إلى بقية المناطق التي قيض ا للإسلام فيها أسباب الفتح ، وخصوصاً في أسيا وإفريقيا وأوربا. ولقد صاحب ظهور هذه المستقرات الحضرية تقدم عظيم في ميادين المعرفة الإنسانية.

وأهتم الجغرافيون بدراسة مراكز العمران لكونها مناطق حضرية بارزة ، لتكوين مفاهيم أساسية تعين على معرفة نمو مراكز العمران في المدن العربية القديمة أو اضمحلالها ، حيث كانت الأهداف الاقتصادية والصحية والعسكرية هي الأسباب الرئيسة التي أسهمت في نشوء المراكز الحضرية .

وقد كان المقدسي (٣٣٤هـ - ٣٨٠هـ) الجغرافي العربي المشهور أول من صنف المراكز العمرانية على أساس أهميتها الوظيفية الإدارية (فالأمصار) مثل الملوك والقصبة العاصمة الإقليمية مثل الوزراء، وشبه المدن بالجنود والقرى بالمشاة منهم . ولم يقدم أي جغرافي مثل هذا التصنيف حتى عام ١٩٣٥ عندما صنف كرستالر مجموعة مراكز عمرانية وفق ترتيب معين يأخذ شكلاً سداسياً .

وقد أتضح بأن هناك الكثير من المتغيرات والأهداف التي ساعدت على نشوء المراكز العمرانية في المراحل الأولى من الدولة الأسلامية ، ثم تراجعت واضمحل كيانها ، في حين ظل الكثير منها ينعم بازدهار أسواقها التجارية وتصاعدت أهميتها بمرور الوقت .

تنصرف هذه الدراسة إلى الكشف عن الجذور التاريخية لنشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في فترة زمنية محددة تتمثل بالقرن الأول الهجري ، منذ بدء تأسيسها على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، والكيفية التي سارت بها هذه المدينة خلال تاريخها الطويل بالأعتماد على المنهج التاريخي والوصفي في وصف المدينة .

وغالباً ما تطلق كلمة العمران على مراكز التوطن ومنازل القرار ويندر استعمال هذه الكلمة في كتب الجغرافية الحديثة لاسيما ما اصطلح على تسميته بجغرافية المدن أو الحضر Urban رغم ان كلمة العمران أكثر شمولاً وأدق دلالة فالعمران لغة: البنيان،اسم لما يعمر به، المكان وتحسن حاله من كثرة الأهالي ونجح

الأعمال والتمدن.(معلوف ، ١٩٦٦، ٥٢٩) . **والعمران** : اصطلاحاً هو الاجتماع البشري .(أبن خلدون ، بلا سنة ،٢٣) .

ويعبر ابن خلدون بوضوح أكثر عن الموضوع بقوله : (فإذا فقد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتبضت الأحوال ... وأختل حال الدولة والسلطان لما أنها صورة للعمران، .(ابن خلدون،بلا سنة ،٢٨٧). ويجعل ابن خلدون عنوان الفصل الرابع من مقدمته ما يأتي : في البلدان والأمصار، وتأثر العمران. (ابن خلدون ، بلا سنة / ٣٤٢) .

والمصر هو البلد العظيم فيه الحكام والأسواق أو ما يتفق وعواصم الدول والأقاليم في يومنا هذا . اما البلاد فهي جمع بلدة والبلد كل موضع من أرض عامراً كان أم خلاء ، ولم يرد في القرآن الكريم الا الجمع بلاد. (مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٠ ، ١٢٢) .

ومن كل هذا يتضح ان معنى العمران يذهب إلى دلالة أوسع من كلمة مدينة أو حضر اذ تتمثل هنا مراكز التوطن البشري ومنازل الاستقرار ومهما تباينت أحجامها واختلفت وظائفها ويلاحظ أن اغلب الدراسات خلت من دراسة العمران على الرغم من كثرة ما كتب عنه في كتب التراث الجغرافي .

والواقع ان المدينة تعتبر ظاهرة مهمة من ظواهر التوطن والاستقرار ولكن فاعليتها ومكانتها الحضارية لا تتكامل الا من خلال ترابطها الوظيفي بمراكز الاستقرار الإداري التي تكون وحدتها النسيجية والحيوية فقد حظيت مدينة البصرة باهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين فقد تناولت دراسة خطط البصرة ومنطقتها في العهود الإسلامية الأولى وأحوالها العمرانية والمالية ، واقتصر مفهوم العمران على ما في إطرافها الغربية والشمالية من الأسواق والقصور والحمامات والمراقد والسكك وغيرها. (العلي ، ١٩٨٥ ، ١٨٣)

وتزخر كتب التراث الجغرافي العربي بذكر الأمكنة والبقاع في مختلف نواحي الأرض وتتوسع معاجم اللغة في شرح معانيها بالرغم من أن الدراسات الجغرافية الحديثة اقتصرت على الأكثر من تحقيق هذا التراث .

نشأة مدينة البصرة :

أن نشأة المدينة وتطورها في الأصل من عمل الإنسان ولكن الظروف الطبيعية في البيئة التي يعيش فيها الإنسان ،هي الحافز الأول والملهم الذي جعله يفكر في بنائها سواء كان ذلك في الماضي او الحاضر .ويبدو ان الطبيعة _على حد

تعبير فيدال لابلاش _تهيئ المكان والإنسان يكيفه لمدينته لكي تنمو وتزدهر. (الموسوي،١٩٨٢، ١٩٩).

ان الذي يقرأ التاريخ يجد ان الفتوح العربية الإسلامية جاءت في شكل موجات متلاحقة ترسم انتشاراً مكانياً في خطوات قصيرة تارة وأخرى طويلة نسبياً ، والانتشار المكاني ظاهرة جغرافية اهتم بها الباحثون في هذا الحقل إلى درجة كبيرة ساعدتهم في اختيار مواقع ومواضع مدنهم إلى درجة كبيرة .

ومن المعروف ان المدن نشأت وتطورت بفضل ما قام به الإنسان ، ولكن يظهر ان للمعرفة الجغرافية أثر في نمو وتطور هذه المدن والذي تمثل بدراسة المكان ان صح التعبير ، فالعامل الجغرافي يتمثل بظاهرتين رئيستين هما الموضع والموقع ومن أجل ذلك فقد كان من الضروري ان يكون لدى العرب من المعلومات ما يهيئ لهم سبل الانتفاع بها في تمصير وتأسيس وبناء مدن جديدة لسكانهم وتخطيطها بالمستوى الذي وصلت إليه حياتهم وبما يتناسب مع ظروف بيئيتهم الطبيعية ، وكذلك برز دور الخلفاء والولاة بوصفهم المسؤولين عن إدارة شؤون الدولة فقد أخذوا باستشارة الحكماء وذوي العلم والمعرفة خاصة في اختيار مواضع ومواقع مدنهم بما يتناسب مع الشروط التي وضعوها لاختيار أفضل المواقع ، وكذلك من اجل وضع خطط المدينة ، وكان هدفهم من ذلك بناء المدن والوحدات العمرانية والمراكز الحضرية من اجل تحقيق دلالات اجتماعية إنسانية بالدرجة الأول. (الزاملي ، ٢٠٠٥ ، ١٢) .

تعد مدينة البصرة أول مدينة انشأها العرب بالعراق في العصر الإسلامي. (حسين، ١٩٧٣، ٢٥). وهي أول ولاية في العصر الإسلامي أنشأها العرب المسلمين خارج حدود الجزيرة العربية .

وكانت منطقة البصرة قبل ان يشرع العرب بتمصيرها تشمل سبع دساكر بمعنى سبع (قرى) قديمة .(الطبري،١٩٣٩، ٦٠) . في الخريبة اثنتان وبالزابوقة واحدة وفي بني تميم اثنتان وفي الازد اثنتان، وكانت هذه الدساكر السبعة مأهولة وذات منازل ثابتة وقد حدد ماسنيون مواقع هذه الدساكر، الا انها تحولت الى خمس مناطق عسكرية قبلية تدعى الأخماس في العصر الأسلامي(ماسنيون، بدون تاريخ، ٣٧).

بالاضافة الى ذلك أن المنطقة كانت مألوفة لدى العرب من ناحية مهمة اخرى. اذ كانت الأبلة تعد تعد مركزا تجاريا يجذب القوافل التجارية العربية الى هذه المنطقة التي عرفت عند العرب في الفترة الجاهلية (بأرض الهند) (الهمداني

،١٩٥٣، ٢٠٤). ويذكر ابن بطوطة :(كانت الأبلة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند، وفارس فخربت وهي الان قرية بها اثار وقصور وغيرها دالة على عظمها.(ابن بطوطة ،١٩٦٨،٢١٠). وكان المجتمع في البصرة قبل الفتح الأسلامي خليطا من العشائر العربية التي كانت تستوطن قرب الأبلة .(العلي ،١٩٥٣ ، ٢٢).

ومن المرجح أن بداية سوق البصرة الشهير بالمربد ،ترجع الى هذه الفترة المبكرة في العصر الجاهلي ،وكون هذه السوق تقع على طرف الصحراء غربي البصرة، قد يقوم شاهدا على نمو هذه السوق مستقلا عن المدينة وسابقا لنشأتها. (الموسوي ،١٩٨٢، ٧٦). وقد حدد مكان السوق على طرف الصحراء بهده الكيفية، ومن ثم عرفت منطقة المربد (بباب البادية).

وكانت البصرة قبل تمصيرها تتكون من إحياء قديمة ومتباعدة بالية تستخدم مسالح للعجم منها :

١ - الخريبة : تصغير خربة موضع البصرة ،من بقايا تردم أو قرون الكلدانية كما ذكرتها الكتب اليونانية وتقع دون دجلة ،فلما نزل المسلمون البصرة سموها الخريبة .

٢ - الابلة : بضم أولها وثانيها وتشديد اللام وفتحها . وقد تعددت الاراء حول تعيين موقعها منها: ان موقع الأبلة قرب قرية كوت الزين الواقعة على شط العرب جنوب أبو الخصيب،(باشا اعيان ،١٩٦١ ،٨). وان نهر الأبلة هو نهر العشار،وأن منطقة العشار الحالية هي مدينة الأبلة. (العنزى،١٩٩٧، ١٠).

ويكاد يجمع المؤرخون ان البصرة مصرت سنة ١٤هـ -٦٣٥ م ، وأن الذي اختطها هو عتبة بن غزوان ،بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ،فكانت أول وأقدم المدن العربية الإسلامية التي شيدت في العراق ويصف العرب المسلمين قصة انشاء البصرة، يذكر ابن خلدون في تاريخه :(انه بلغ عمر بن الخطاب في سنة اربع عشرة، ان العرب تغيرت الوانهم ، وراى ذلك في وجوه وفودهم، فسألهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا) . (ابن خلدون ،بلا سنة ،١١٠).

وقد رأى عمر بن الخطاب أنه لابد للجيوش الغازية من اتخاذ مكان، ليكون مركز انطلاق وتجمع لها، ولابد لهذا المكان ،ان يكون ذا موقع هام يمكن للمقاتلين اللجؤ إليه وقت يشأوون، وطلب المعونة منه عندما يحتاجون ،كما لابد ان يكون الاتصال بمركز الدولة العربية الإسلامية منه ميسورا، وكان من شروط عمر بن الخطاب ان لا يكون بينه وبينهم بحر يفصله عنهم . ويقول البلاذري في تمصير البصرة: (أن عتبة بن غزوان لما نزل الخريبة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله اياه فكتب إليه الخليفة: (اجمع اصحابك في موقع واحد وليكن قريبا من الماء

والمراعي ويكتب إليه بصفاتها، فكتب إليه أني وجدت ارضا كثيرة القصب فقرأ الكتاب ، فقال (هذه أرض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب ،وكتب اليه أن انزلها وذلك في سنة ١٤هـ).(البلاذري ،١٩٨٤، ٣٧٧).

وبذلك فأن عتبة بن غزوان أبرز في جوابه للخليفة الأوضاع الآتية :-

أ ـ قربها من منافع الماء.

ب ـ وقوعها على طرف البر.

ج ـ كثرة القصب والحجر .

وهذه شروط أساسية توفر للإنسان العربي طيب العيش ولأبله وفرة المرعى وهذه من الأمور التي أكد عليها الخليفة لاختيار مواضع العرب . وإلى جانب هذه الحقائق فأن البصرة تتمتع بموقع سوقي مهماً يرتبط بظهر الجزيرة العربية اذ يصل إليها الإمداد العسكري دون عائق ، وهي إضافة إلى ذلك تحتل موقعاً سوقياً على مشارف العدو الفارسي أصبح فيما بعد منطلقاً لحركات الفتح التالي في هذه الإنحاء . ويعطي موقعها في الوقت نفسه مدلولاً سوقياً عسكرياً دلت عليه التعابير التي جاءت في هذه الكتب المتبادلة بين الخليفة وقائده مثل (على طرف البر، وقريب من الريف ، أو أطراف الصحراء) .(ناجي ، ١٩٨٦ ، ١٥٧) .

وقد بنيت البصرة في أول الأمر على شكل معسكر يسهل اتصاله برياً بشبه الجزيرة العربية بما لا يسمح بوجود حاجز مائي بين جيش المسلمين من ناحية والاتصال ألبري بقاعدة الإسلام في المدينة المنورة من ناحية أخرى ، بناء على الأفكار التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في اختيار مواضع المدن وقد أوصى قواده بإتباعها وتنفيذها، وبذلك توفرت بعض الصفات الأخرى وهي . (البلاذري ، ١٩٨٤ ، ٣٥٨) . قربها من منافع الماء ووقوعها على طرف البر وكثرة القصب البردي.

بالإضافة إلى موقعها العسكري الذي يرتبط بظهر الجزيرة العربية اذ يصل لها الإمداد العسكري دون عائق وهذه ميزة أخرى لموضع البصرة القديم تبرز أهميته العسكرية كأحسن نموذج للإستراتيجية الحربية ، حيث وجود الخليج العربي في جنوبها وشط العرب في شرقها والفرات في شمالها ، وتؤلف خطوط دفاع عن المدينة ضد الأعداء .(العيداني ، ١٩٨٣ ،٥٥) .

وقد اشتهرت البصرة فيما بعد بقصورها الكبيرة وبساتينها الواسعة الجميلة التي كانت تضرب الأمثال بروعتها وجمالها . وسرعان ما بدأ سكان البصرة بالازدياد، وبدأت جموع الناس تقصدها، وتستوطن بها .

تسمية مدينة البصرة:

وتختلف الروايات في أصل تسمية المدينة فقد ذكر في القاموس المحيط ولسان العرب :ان معنى البصرة الأرض الغليظة الرخوة الضاربة أو فيها بياض .(الموسوي ،١٩٨٢، ٧٤). وقال ياقوت الحموي :(البصرة :وهما بصرتان العظمى بالعراق، والأخرى بالمغرب .(ياقوت الحموي، بلا سنة،٢٠٧). كما يوجد في دولة ماليزيا منطقة تسمى البصرة.

وقال جملة من المؤرخين : أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد ورأوا الحصى عليها أن هذه الأرض بصرة أي أنها ذات حجارة رخوة حصبة فسميت بذلك. كما قيل انها سميت بهذا الأسم لأنها اقيمت على ارض كثيرة الحصى قال قطرب :البصرة الارض الغليظة التي فيها حجارة تقلع حوافر الدواب، وقال ابن الانباري : البصرة في كلام العرب الارض الغليظة، وابن الإعرابي: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة صلاب تقلع حوافر الدواب وإنما سميت البصرة لشدتها وغلظتها . وقال محمد بن شرحبيل بن حسنة : إنما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة ، وقال الازهري :البصر بالكسر الحجارة إلى البياض فاذا جاؤوا بالهاء قالوا بصره .

وفي تاريخ الرسل والملوك قال الطبري :(والبصرة يومئذ تدعى ارض الهند فيها حجارة بيض خشن).(النجدي،٢٠١٠ ،٢١ ،)

وذكر بعض المغاربة :ان البصرة تعني الطين العالك ، وقيل : الأرض الطيبة الحمراء . وهذا يدل على أنهم تأثرو بالطبيعة منذ العصر الجاهلي ،مما يدل على أن معنى البصرة قد تردد بين الأرض الرخوة او الغليظة الرخوة الضاربة إلى البياض، أي ان هذا المعنى قد ارتبط بطبيعة ارض البصرة وذلك لوقوعها في منطقة السهل الرسوبي المحاذي لحافة الصحراء ، فوصفوها اصدق وصف .

وقد أنشد الخفاف بن ندبة : (النجدي ، ٢٠١٠، ٢٠).

أن تك جلمود بصر لا أويسه أقد عليه وأحميه فينصدع

وقال الطرماح بن حكيم :

مؤلّفة تهوي جميعاً كما هوى من النّيق فهر البصرة المتطحطح

وهذان البيتان يدلان على الصلابة لا الرخاوة .

وقد ورد في سبب تسميتها بالبصرة رأي اخر وهو :أن عتبة بن غزوان كتب إلى عمر يستأذنه في تمصيرها فوصفها له بقوله :اني أرى أرضا كثيرة

القصب في طرف البر إلى الريف ودونها منافع فيها ماء وفيها قصب فقال عمر: هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمرعى والمحتطب .

ويؤيد احد الباحثين ما قاله المغاربة من ان معنى البصرة هي الطين العلك او الأرض الطيبة الحمراء ، والتي يمكن ملاحظتها عند انحسار المياه ،وعليه يكون معنى البصرة الأرض العلك الطيبة الحمراء كالغرين التي انحسر عنها ماء شط العرب.(العيدان ،١٩٨٣، ٦٢).

وهكذا ننهي إلى أن البصرة كانت تحمل أسماء غريبة وقديمة ومتعددة الآراء من قبل المؤرخين والباحثين واللغويين من العرب وغيرهم حول التفسيرات التي احتوت آراءهم عن الاصل في تسمية البصرة ...إلى أخره . فسميت (الخريبة) وكانت مسلحاً للأعجام وبعد تمصيرها سميت بأسماء كثيرة نذكر منها ما سميت به : تسمى أم العراق، وخزانة العرب، وعين الدنيا ، وذات الوشامين، والبصرة العظمى، والبصرة الزهراء ، والبصرة الفيحاء وتسمى البصرة الرعناء، وقبة العلم . وسميت بصرة أيضا نسبة إلى الحجر الأبيض لأنها الأرض التي شيدت عليها من الحجر الأبيض.(العباسي، بلا سنة ، ٢٢- ٢٣).وبصرة تعنى الرمال الناعمة أيضا (خان، ١٩٨٠ ، ٣) التي فيها بياض ولهذا سميت بهذا الاسم .

اختيار موضع وموقع مدينة البصرة :

ان الذي يقرأ التاريخ يجد ان الفتوح العربية الإسلامية جاءت في شكل موجات متلاحقة ترسم انتشاراً مكانياً في خطوات قصيرة تارة وأخرى طويلة نسبياً والانتشار المكاني ظاهرة جغرافية اهتم بها الباحثون في هذا الحقل إلى درجة كبيرة ساعدتهم في اختيار مواقع ومواضع مدنهم إلى درجة كبيرة .

تقع مدينة البصرة في أقصى الجنوب الشرقي من العراق ، بين دائرتي ٢٩,٠٥ – ٣٩,٢٠ شمالاً وبين قوسين طول ٤٩و٤٠ -٤٨,٣٠ شرقاً. وتشغل حيزاً مكانياً تبلغ مساحته ١٩٠٧٠كم^{2}(المجموعة الإحصائية السنوية، ٢٠٠٦، ١١). أما موضع مدينة البصرة القديم فتعد البصرة أول مدينة نشأت خارج حدود شبه الجزيرة العربية على أطراف البادية شرق مدينة الزبير الحالية ،الى الجنوب الغربي من مدينة البصرة الحالية على بعد ١٤ كم منها (خريطة ١)، لتكون معسكراً تنطلق منه الجيوش العربية نحو مسالح الفرس المتواجدة في منطقة الآبلة والأجزاء الشرقية من العراق . وعليه تم اختيار موقعها بالقرب من هذه المسالح وليكون حلقة وصل

بينها وبين مركز الخلافة في المدينة المنورة ، الأمر الذي أدى إلى سهولة وصول المقاتلين إليها .

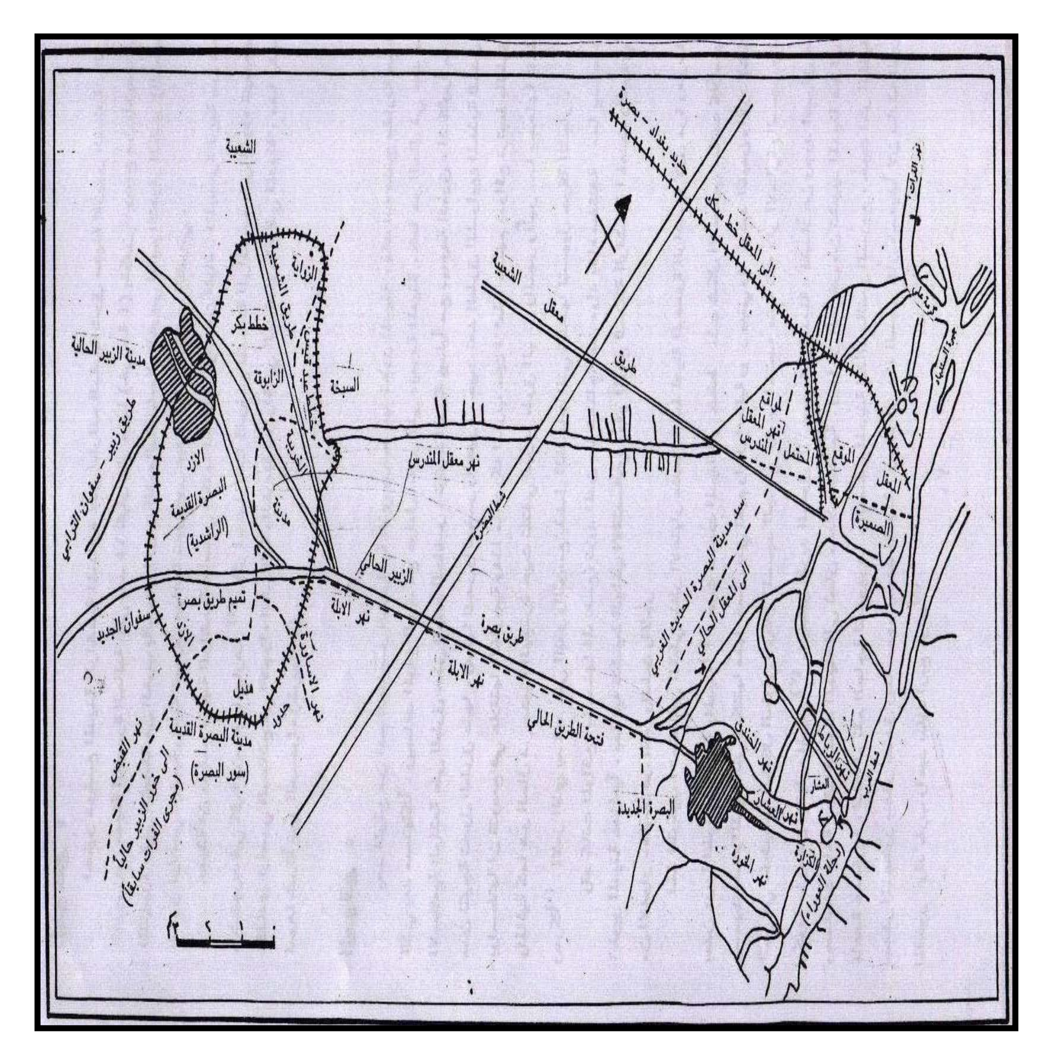
ويبدو مما تقدم،ان اختيار موضع البصرة ،لم يكن امرا عفويا ، وأنما كان بعد بحث دقيق ومتواصل وبناء على الأفكار التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في اختيار مواضع المدن والتي أوصى قادته بأتباعها وتنفيذها ، وأظهرت نتائجه انه كان اختيارا موفقا . ويمكن ان نحدد الأسباب التي أدت إلى اختيار موضع البصرة بعدة عوامل رئيسية لنشأتها وهي :

أ_العامل العسكري:

عادة تبدأ عملية التخطيط لأي مدينة باختيار الموقع المناسب الذي سوف تقام عليه المدينة . ومدينة البصرة واحدة من المدن العربية الإسلامية التي تأثرت بعدة عوامل أدت إلى ازدهارها ونضوجها وتطورها سواء كان عسكرياً أو دينياً أو سياسياً أو اقتصادياً ، ومن هنا جاءت فكرة تأسيس مدينة البصرة حيث كانت النظرة العسكرية العامل الأهم في تحديد موضع المدينة . فقد كان موضع

(خريطة رقم ١)

خريطة البصرة الراشدية في القرنين الأول والثاني للهجرة



المصدر:محمد طارق ،شط العرب وشط البصرة والتاريخ ،مطبعة الموانئ العراقية،بصرة ،١٩٧١.

المدينة مجرد مكان لتجمع المقاتلين فلم يكن في الموضع بناء لأن هدف التجمع كان عسكريا استطلاعيا .

وعندما اختار القائد عتبة بن غزوان موضع البصرة خلف دجلة العوراء وكتب بذلك للخليفة عمر بن الخطاب أشار الأخير بأن يختار موضعاً آخر بحيث لا يترك النهر إلى الخلف منه بل يجعل من الصحراء ظهيراً له ولقد كان الغرض من ذلك

عسكرياً بحتاً حيث ان وجود النهر إمام المدينة يعتبر حاجزا دفاعيا طبيعياً ممكن ان يعيق حركة العدو في حال الهجوم كما ان وجود الصحراء ظهيراً للمدينة يتيح للجيش الإسلامي حرية الحركة فيها لكونه الأعلم بمسالكها وقد روعي هذا الاعتبار كذلك عند تأسيس مدينة الكوفة . (عثمان ،٢٠٠٨ ، ٢٨٠) .

وإلى جانب هذه الحقائق فأن البصرة تتمتع بموقع سوقي مهماً يرتبط بظهر الجزيرة العربية اذ يصل إليها الإمداد العسكري دون عائق ، وهي إضافة إلى ذلك تحتل موقعاً سوقياً على مشارف العدو الفارسي أصبح فيما بعد منطلقاً لحركات الفتح التالي في هذه الإنحاء . ويعطي موقعها في الوقت نفسه مدلولاً سوقياً عسكرياً دلت عليه التعابير التي جاءت في هذه الكتب المتبادلة بين الخليفة وقائده مثل (علي طرف البر، وقريب من الريف ، أو أطراف الصحراء) . (ناجي ، ١٩٨٦ ، ١٥٧) .

وهذا ما يدل على ان البصرة بنيت في أول الأمر على شكل معسكر يسهل اتصاله برياً بشبه الجزيرة العربية بما لا يسمح بوجود حاجز مائي بين جيش المسلمين من ناحية والاتصال ألبري بقاعدة الإسلام في المدينة المنورة من ناحية أخرى ، بناء على الأفكار التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في اختيار مواضع المدن وقد أوصى قواده بإتباعها وتنفيذها ، وبذلك توفرت بعض الصفات الأخرى وهي .(البلاذري ، ١٩٨٤ ، ٣٥٨) . مثل قربها من منافع الماء ووقوعها على طرف البر وكثرة القصب البردي .

فمن المعروف ان البصرة تعد أول مدينة نشأت خارج حدود شبه الجزيرة العربية لتكون معسكرا تنطلق منه الجيوش العربية نحو مسالح الفرس المتواجدة في منطقة الأبلة والأجزاء الشرقية من العراق، وعليه تم اختيار موقعها بالقرب من هذه المسالح ولتكون حلقة وصل بينها وبين مركز الخلافة في المدينة المنورة ،الأمر الذي أدى السهولة وصول المقاتلين اللذين وصلوا الى المدينة مع مؤسسها عتبة بن غزوان بعد تمصيرها سنة ١٤هـ حوالي (٣٠٠) مقاتل وذلك لغرض استطلاع المدينة قبل انطلاق الفتوحات العربية منها .

بالإضافة إلى أهمية موقعها العسكري الذي ارتبط بظهر الجزيرة العربية فتصل الإمدادات العسكرية بدون عائق ويمثل نموذج للإستراتيجية الحربية ، حيث وجود الخليج العربي في جنوبها وشط العرب شرقها والفرات في شمالها ، تؤلف خطوط دفاع عن المدينة ضد الأعداء.(ألعيدان ، ١٩٨٣ ، ٥٥). مما يدل على ان العامل العسكري كان النواة الأولى في نشأة البصرة واختيار موقعها .

ب _ العامل الجغرافي :

يعد العامل الجغرافي من ابرز العوامل التي أكسبت مدينة البصرة أهمية عسكرية واقتصادية كبيرة في القرن الأول الهجري نظرا لما تمتع به من مميزات أهلته لان يكون مركز تجمع سكاني كبير من خلال ارتباطه المباشر بشبه الجزيرة العربية، ومن المعروف ان العامل الجغرافي يتمثل بظاهرتين رئيسيتين هما الموقع ، والموضع، وعادة تبدأ عملية التخطيط لأي مدينة باختيار الموقع المناسب الذي سوف تقام عليه المدينة . فعندما اختار القائد عتبة بن غزوان موضع البصرة كما اشرنا سابقا بناء على الأفكار التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في اختيار مواضع المدن والتي حددها بأن يكون المكان المختار قريبا من الماء والمرعى ولا يفصله عنهم بحرا او نهرا. وهي شروط أساسية توفر للإنسان العربي طيب العيش ولأبله وفرة المرعى والأمان لحياته، ويتضح من ذلك ان الخليفة عمر بين الخطاب اهتم اهتماما خاصا في اختيار الموقع التي ستقام عليه مدينة البصرة ، حيث اصبح معروفا عن العرب المسلمين انهم كانوا يتحرون مواضع مدنهم ويتفحصون امكنتها تفحصا طبوغرافيا وكان لهم اساليبهم القديمة بالرغم من بساطتها، الآ انهم وضعوا شروضا وقواعد لبناء مدنهم وتعميرها، والبصرة واحدة من تلك المدن التي استمدت أهميتها من موقعها الجغرافي وليس من تاريخ تمصيرها .

فقد نشأت منذ البداية على أنها مدينة تجارية مستثمرة علاقة الموضع بالموقع العام لها . وفي ظل هذه الظروف الطبيعية لابد ان تنشأ مع المدينة ميناءها الخاص بها . فالموضع يعد عنصراً ذا أهمية بالغة في عمران المدينة لاسيما تأثيره على تطور ميناء المدينة في دعم وظيفتها بوجود مياه عميقة واسعة ووجود حركة المد والمناخ الملائم.(الجادر ، ٢٠٠٠ ، ١٨) . فلم يكن موقع مدينة البصرة بعيدا عن المياه، فالبصرة قريبة من شط العرب والتي اشتهرت بأنهارها منذ اقدم الأزمنة. مما اثر على اتجاه توسعها العمراني حيث تتفادى اراضي البطائح في الأجزاء الشمالية والغربية، واراضي الفيضان شرقي المدينة، مما يفسر توجه نموها نحو الصحراء ، (خريطة ٢) . (العنزى ،١٩٩٧، ١١).

وقد ادرك العرب المسلمون أهمية الطرق بالنسبة للمدينة لذلك أنشأوا مدنهم بمواقع تتميز بطرقها البرية والنهرية ،لأهمية وسائل النقل في حركة وانتشار السكان والتقدم الذي يطرأ على المدن من خلال توفر وسائل النقل المختلفة .

كذلك تعد الطرق الشرايين المغذية للمدن حيث تتمكن بواسطتها ان تتوسع في علاقاتها الخارجية وهذا ما ادركه العرب حين انشأوا مدنهم بمواقع ترتبط

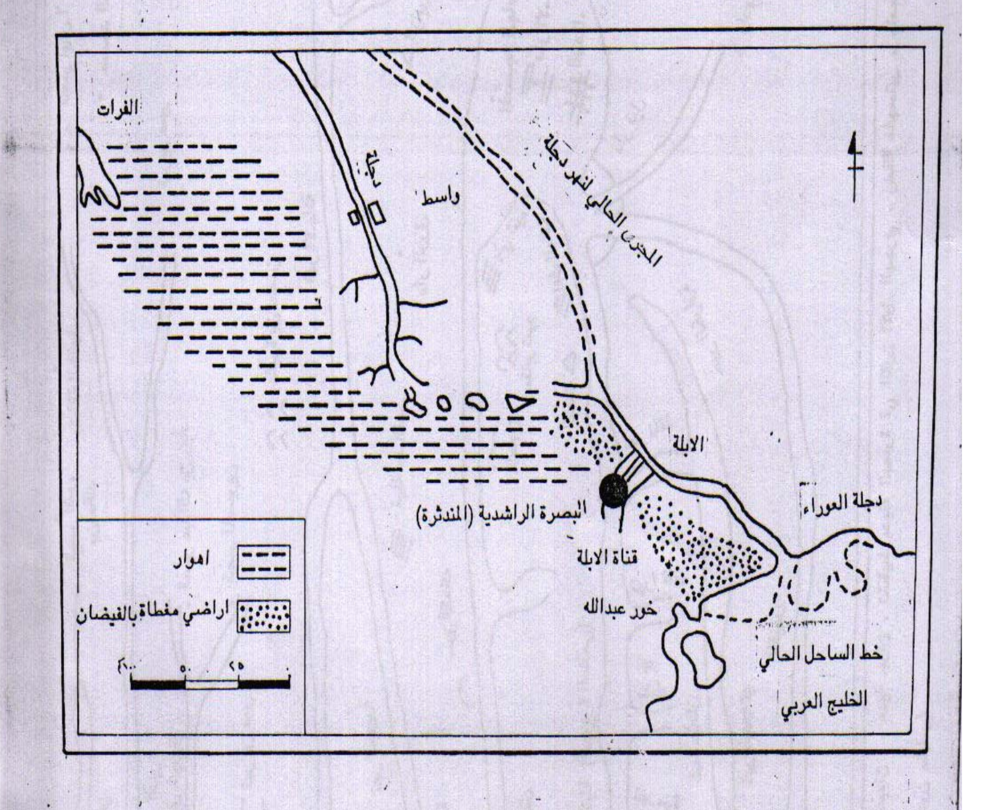
بالطرق البرية والمائية كما هو الحال في مدينة البصرة حيث تلتقي عبرها طرق البحر والنهر والبر مما يجعلها نقطة قطع وحركة. (العنزى ،١٩٩٧، ١١).

واضافة إلى ما ذكرناه فأن للمناخ دورا في تطوير المدن ،فقد حرص العرب منذ البداية ان يكون الموضع المختار لبناء مدنهم التي انشأوها صحيا خاليا من الحشرات وكذلك بعيدة عن الملوثات ،وغير موبؤة ولا وخمة الهواء ،كما تمتاز بمناظرها الجميلة ، ومما ترتاح له النفس .(عبد الجبار، ١٩٨٦، ٢٩).

ج_ العامل الاقتصادي:

برز دور العامل الاقتصادي في مدينة البصرة بعد استقرار الفتوحات العربية الإسلامية فيها والذي أدى إلى جذب اعداد كبيرة من السكان اليها ، نظرا لما يتمتع به موضع البصرة من موقع جغرافي مهم وحيوي الذي يشرف على رأس الخليج العربي والذي جعلها تمثل حلقة وصل بين الشرق الأقصى (الهند والصين) وشرق افريقيا من جهة والجزيرة العربية من جهة ثانية ،أي انه سهل على المدينة فيما بعد بالاتصال بالعالم الخارجي عن طريق الخليج العربي وغيرها من الطرق. وهذا ما يؤكده ابن الفقيه بقوله فهي واسط الأرض وغورة البحر ومغيض الأقطار وقلب الدنيا).(أبن الفقيه،١٣٠٢هـ،١١٩) .مما أعطى المدينة أهمية اقتصادية كبيرة بسيطرته على مدخل العراق من جهة الجنوب من الناحية التجارية . وهذا ما يوضحه المقدسي بقوله :(مدينة بين فارس وديار العرب).

(خريطة رقم ٢)



وحد العراق على عبر الصين).(المقدسي ،١٩٠٩ ، ٢٢٢). وبسبب هذا التوسع التجاري ازدادت أهمية مدينة البصرة لكثرة مواردها الزراعية أيضا، ويوضح تلك الأهمية اليعقوبي بقوله: (كانت مدينة الدنيا ومدن تجاراتها وأحواله).(اليعقوبي ، ٢٠٠٢، ٣٨٣) . فالبصرة موضع التقاء عدة طرق بحرية وبرية . أو كما يقول ابن بطوطة : هي (جمع البحرين الاجاجي (المالح) والعذب) . (ابن بطوطة ، ١٩٦٨ ، ١٨١) . فعندها طريق سوقي مهم يربط بين المحيط الهندي والبحر المتوسط عبر سهول دجلة والفرات ، وأصبحت البصرة مركزاً رئيساً لتوزيع

تجاري يشمل تجارة الصين والهند وشرق افريقيا ، من ناحية وتجارة شبة الجزيرة العربية وأوربا والبحر المتوسط من ناحية أخرى .

وتتوسع المراجع الجغرافية العربية في ذكر تجارتها وبضاعتها ، فاشتهرت بخزها وبزها وطرائفها وأبرزها وهي معدن اللالي والجواهر وفرضة البحر ومطرح البحر... منها تحمل التمور إلى الإطراف والحناء ، ولهم حز وبنفسج وما ورد والأبلة تصنع الثياب الكتانية الرفيعة.(المقدسي، ٩٠٩ ، ١٢٨)

وفي مجال الزراعة فقد ذكر ابن الفقيه الهمذاني :ان الخليفة عمر بن الخطاب اهتم بمشاريع الري ونظمها تنظيما يتفق مع الحاجة إليها فقاموا بحفر الأنهار وشق الترع وتطهيرها وأهتموا بمشاريع الري وشق القنوات وغيرها مما أدى إلى تسهيل عملية الزراعة على الفلاحين في الأراضي الزراعية وازدياد صادرات المدينة من المنتجات الزراعية مثل التمور وغيرها من النتجات الزراعية. ونتيجة لزيادة النشاط التجاري والزراعي فقد أدى ذلك إلى جذب أعداد كبيرة من الأيدي العاملة إلى البصرة وزيادة عدد السكان.

وبقيت البصرة رغم تقادم الزمن ، وبفضل قاعدتها الاقتصادية الواسعة عامرة. كما يقول ابن بطوطة :(احدى أمهات العراق الشهيرة الذكر في الأفاق الفسيحة الأشجار المؤنقة الاخناء ذات البساتين الكثيرة ، والفواكه الكثيرة ... وليس في الدنيا أكثر نخيل منها . والبياعة في ضلال الأشجار يبيعون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه) . (ابن بطوطة ،١٩٦٨، ١٨١-١٨٥).

مواد البناء:

ان دراسة العمران تسير مسرى الخيط في نسيج الفكر الجغرافي ، أي انها في جوهرها تكشف في أبعادها المختلفة فلسفة الجغرافية تنعكس في اختيار الموقع الجغرافي وتحديد وظائفه ،وكانت المواقع وبضمنها المواضع تزود المدن بما تحتاجه من مواد بناء مختلفة ،بما يساعدها على تطوير المدينة عمرانياً،بما فيه تنشيط الجانب الأقتصادي . ووفر الموقع للمدينة كل مستلزمات البناء من القصب والبردي لقربها من الأهوار ،فضلا عن اللبن والطين ولآجر .

أولاً :- من القصب والبردي : بعد ان أستقر العرب في أرض الخريبة كتب بن غزوان إلى سيدنا عمر بن الخطاب (رض) يستأذنه في تمصير البصرة فقال : لابد للمسلمين من منزل إذ اشتو اشتوا فيه وإذا رجعوا من غزوهم لجأوا إليه وبعث بالكتاب مع نافع بن الحارث بن كلدة فكتب إليه سيدنا عمر : إن أردت لهم منزلاً

قريباً من المراعي والماء اكتب إلي بصفته فكتب إليه أني وجدت أرضاً كثيرة الحصى في طرف البر إلى الريف ودونها منابع فيها ماء وفيها قصب ولما وصل هذا الجواب إلى سيدنا عمر قال هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب ، وكتب إليه أن انزلها . فنزلها وبنى مسجدها ودار إماراتها والديوان والسجن والحمامات من القصب وضربوا بها الخيام والقباب مع بقية بيوتهم فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حرقوه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها. (العباسي ، ١٩٧٠ ، ٤٠ – ٤١) .

ثانياً :- من اللبن : في سنة ١٦ هـ حدث حريق هائل في البصرة التهمت نيرانه جميع بيوتهم وكان هذا الحريق قد ألقى الرعب في قلوبهم فخافوا ان يداهمهم مرة أخرى عندئذ استأذن الخليفة ان يبنيها من اللبن – الطابوق غير المفخور- فأذن لهم وكتب إليهم افعلوا ولا تلاصقوا في البناء ولا يزيدن أحدكم على ثلاث غرف ولا تطاولوا في البناء ، ثم أوضح لهم ان يجعلوا عرض شوارعهم الكبيرة أربعين ذراعاً وعرض الوسط منها عشرين ذراعا وعرض الأزقة سبعة أذرع ووسط كل محلة رحبة (ساحة) لمرابط خيلهم مربعها ستون ذراعاً. (الجاحظ ، ١٩٢٦، ٢٠٤)

وكان اختيار الخليفة لمادة اللبن ليس اعتباطا بل استخدم لانه مادة متماسكة وقوية ذات صفات جيدة ملائمة لمناخ البيئة الصحراوية اما الحائط العريض فسوف يؤدي إلى تقليل أثر الحرارة العالية في مدينة البصرة . وهذا يدل على وعي العرب لظروف البيئة الجغرافية واستجابتهم لها وتقيدهم بعامل المناخ في تحديد مواد البناء المستخدمة .

فقد بنى المسجد (الجامع) وكذلك دار الإمارة وكان المنبر في وسطه وكما قلنا بداية البناء كان من القصب بعدها باللبن وبعدها بني المسجد بالجص وسقفه بالساج ودار الإمارة باللبن . وكانت الحمامات لا تبني في البصرة الا بأذن الولاة وبنى الناس حول المسجد وكان بناء المسجد على شكل مربع وذلك على أيام أبي موسى عندما تولى ولايتها . (ياقوت الحموي، بلا سنة ، ٤٣٣ _ ٤٣٥) .

التطور العمراني لمدينة البصرة:

من الطبيعي ان يصاحب ازدياد عدد سكان الذي شهدته مدينة البصرة تطور سريع أيضا في البنيات والعمران .وبمرور الزمن أصبحت مدينة البصرة مدينة كبيرة ذات مساحة عظيمة . بفضل جهود عدد من العلماء والحكماء التي تضافرت جهودهم عي عملية تطوير وتخطيط المدينة .

ان دراسة العمران تسير مسرى الخيط في نسيج الفكر الجغرافي ، أي انها في جوهرها تكشف في أبعادها المختلفة فلسفة الجغرافية تنعكس في اختيار الموقع الجغرافي وتحديد وظائفه ،وكانت المواقع وبضمنها المواضع تزود المدن بما تحتاجه من مواد بناء مختلفة ،بما يساعدها على تطوير المدينة عمرانياً،بما فيه تنشيط الجانب الاقتصادي .ووفر الموقع للمدينة كل مستلزمات البناء من القصب والبردي لقربها من الأهوار ،فضلا عن اللبن والطين ولآجر .

يخضع تخطيط المدينة الإسلامية لقواعد عامة محددة تبرز من بينها ثلاث قواعد أولها المسجد الذي أعطى للمدينة طابعها الإسلامي وثانيها دار الإمارة وهي قصر الحكم وإدارة الدولة وثالثا خطة المدينة التي تشمل توزيع استعمالات الأرض المختلفة داخل المدينة.(عثمان ،٢٠٠٨ ، ٢٨).

وجاءت خططها بتوسط (المسجد الجامع) في مركزها ، اذ كان الشيء الأول الذي يتم تخطيطه ومن حوله كانت تخطط إحياء المدينة واليه تنتهي شوارعها وازقتها . والمسجد جزءا من المجتمع يلتحم مع بناءئه وعمرانه ويتكامل مع خدماته الأجتماعية والتعليمية والثقافية والصحية ،فهو جزء من كل مترتابط وليس بناءا أو منعزلا..(كمونة ،٢٠١٠، ٨٣).

لذالك احتل موقعا وسطا حتى يصل الناس إليه بيسر وسهولة من أنحاء المدينة كافة، فكان المسجد الجامع الكبير المسجد الأول في البصرة كما انه وبتوسع رقعة المدينة من الناحية العمرانية وازدياد عدد سكانها ومحلاتها السكنية تظهر الحاجة إلى إنشاء مساجد بمرتبة ثانية او ثالثة ضمن الأحياء السكنية .

اما (دار الامارة) التي أطلق عليها اسم الدهناء وهي أول دار إمارة تأسست في العراق وثاني دار إمارة بعد دار الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) وخط إلى جانب هذه الدار وحدات إدارية أخرى .

وفي الوقت الذي يؤكد فيه الباحثون الغربيون (امثال جرينبام Grunebaum) على ان المدينة الإسلامية تخلو من الوظيفة الحكومية ، فإننا نجد ان دار الإمارة هي التي تمثل هذه الوظيفة، وانها مع المسجد الجامع ومصر الحاكم والدواوين تقع كلها في قلب المدينة باعتبار انها جميعها تمثل مركز الإدارة في المدينة . (البغدادي ،٢٠٠٣ ، ٢١٨).

اما الأسواق فيأتي موقعها في المنتصف وبقرب المسجد الجامع ودار الإمارة ليكون قريبا إلى جميع سكان المدينة في جميع جهاتها ويكون قريبا من المسجد أيضا.

(والأسواق)هي من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالمكان والإنسان في المدينة الإسلامية التقليدية ، وقد اتسعت بسمة الاستمرار العضوي في نطاق الكيان الطبيعي للمدينة وهي تتركز في المنطقة المحيطة للمسجد الجامع ،وتمتد باتجاه محاور الحركة الرئيسية المتجهة نحو بوابات المدينة ، وبعد نمو ونضج المدينة استدعت الضرورة وجود أنماط ثانوية من التراكيب التجارية لتقدم أفضل الخدمات للسكان وبيسر وفق نظام متسلسل متدرج Hierarchy . (خريطة ٤).

ومحلات البصرة الكثيرة وعديدة منها ما سمي باسماء عربية ومنها أعجمية باسم الذين استوطنوا البصرة ودخلوا الإسلام فنزعوا منازع العرب واتبعوا عاداتهم واهم هذه الإحياء القديمة في

(خريطة رقم ٣)

مخطط تقريبي لأسواق البصرة خلال القرن الاولى الهجرية



البصرة هي :محلة البيضاء ومحلة حوض ومحلة الكلاء وفيها سوق البصرة ومحلة النحاسين ومحلة الاساور ... وغيرها من المحلات .(العباسي ،١٩٧٠، ١٤٧-١٤٨)

اما (المناطق السكنية)او الإحياء السكنية فقد خطت وفق القاعدة الأساسية التي كانت قبلية شخصية في آن واحد (السامرائي ، ٢٠٠٤ ،١٩-٢١) . وهي عادتا تكون موزعة على شكل محلات سكنية واقعة على شوارع وازقة ملتوية . اذا ان فكرة التخطيط العربي الإسلامي تقوم على تقسيم المدينة إلى محلات سكنية تسكنها عشيرة واحدة نتيجة لتأثير النظام الاجتماعي القبلي حيث كانت النظم السائدة فيها قائمة على أسس قبلية .حيث خططت منازل القبائل التي استقرت في مدينة البصرة وقسمت إلى خمس أخماس يضم كل خمس عدد من العشائر وزعت على السكان حسب انتماءاتهم القبلية وهي أصل العالية وتميم وبكر والازد وعبد القيس. (العلي ،١٩٦٨، ٤٩-٥٠). حيث تشكل هذه المحلات منظومات عضوية متكاملة ضمن المدينة الواحدة . وأهم هذه القبائل التي سكنت مدينة البصرة هم : القساملة والأزد وبنو الخندق وبنو العم وبنو النجار وبنو الليث وبنو العنبر وبنو الأشعر وبنو الجوني ... إلى غيرهم من القبائل (خريطة ٣) .

اذ أشارت المصادر التاريخية إلى ان عدد المقاتلين اللذين وصلوا إلى المدينة مع مؤسسها عتبة بن غزوان بعد تمصيرها سنة (١٤ه) حوالي (٣٠٠) مقاتل وذلك لغرض استطلاع المدينة قبل انطلاق الفتوحات العربية وبعد ان بدأت الفتوحات العربية في المدينة ظهرت حاجة ماسة لزيادة عدد القوات في المدينة وهكذا نزحت إليها القبائل من كل الجهات وبدون عائق .

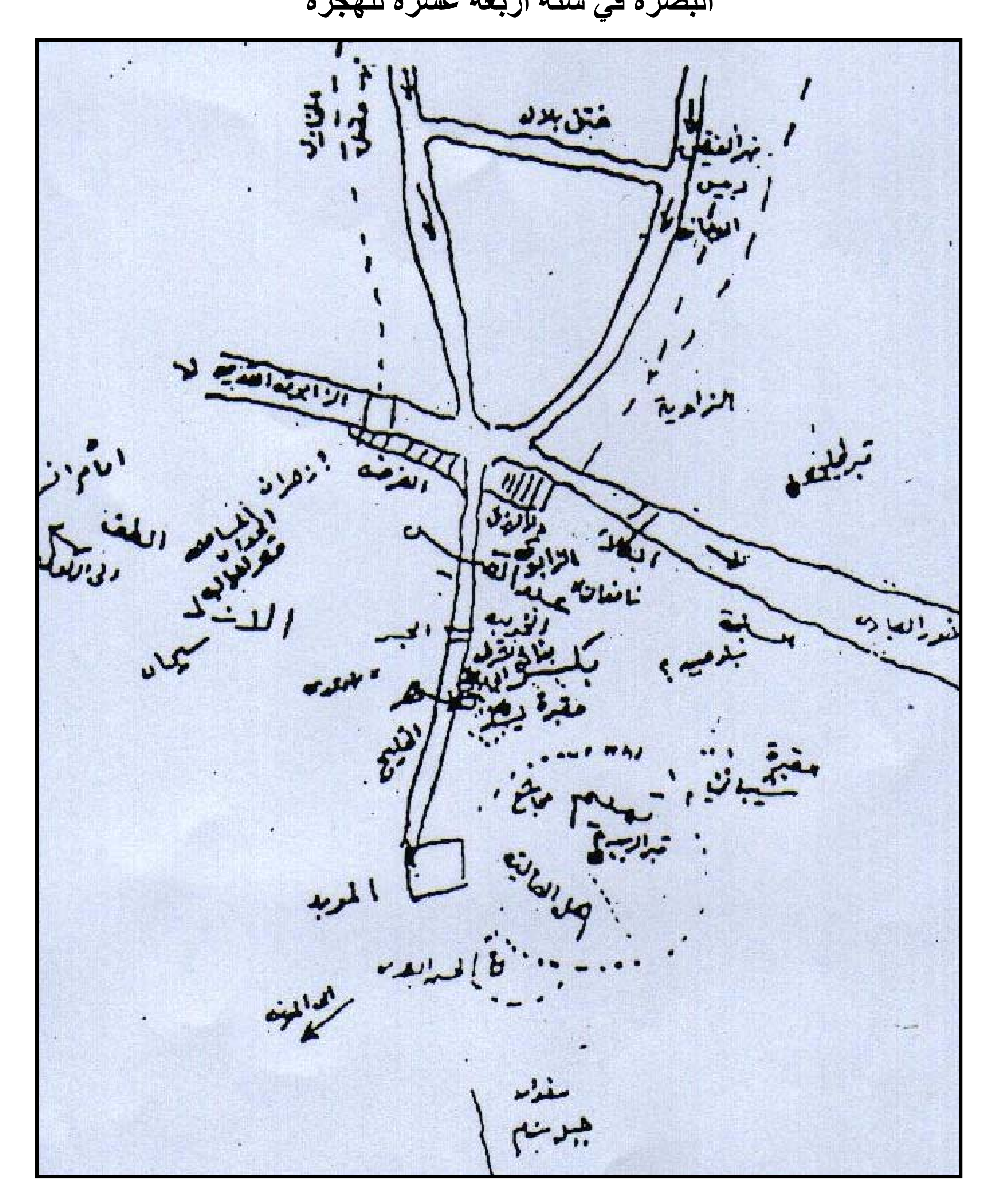
وقد ازداد عدد سكان مدينة البصرة بسبب كثرة وارداتها الاقتصادية ايضا لذلك وصل عدد سكان البصرة إلى (١٣٠ ألف) في خلال الأمام علي بن ابي طالب(عليه السلام). حتى أصبحت في القرن الثاني للهجرة مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها . (اليعقوبي ، ٢٠٠٢ ، ٣٢٣) . وزاد الناس وعظمت ثروتهم حتى بلغت جباية الدولة من أحد تجارها (١٠٠,٠٠٠) دينار في العام. (زيدان ، ١٩٦٦، ١٧٧).

وتتغير ظروف المكان وتتبدل وظائفه كلما جد الزمان وتقادم عمره . ومدينة البصرة سرعان ما تغيرت أوضاعها وأنحسر بناءها من الهضبة الغربية إلى شرقيها، واستقر الناس على ضفاف شط العرب وجداوله وأصبحت بساتين نخلها متصلة ،

ولا يكون الإنسان فيها بمكان الا وهو في نهر ونخيل أو يكون بحيث يراهما. (ابن حوقل، ١٩٣٨ ، ٢١٢).

(خريطة رقم ٤)

البصرة في سنة اربعة عشرة للهجرة



المصدر:صالح احمد العلي ،خطط البصرة ومنطقتها ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٥.

فقد أصبحت البصرة في نهاية القرن الأول الهجري من أقدم موانئ الخليج العربي وإحدى أمهات مدن العراق الشهيرة الذكر في الآفاق الفسيحة الإرجاء ، وكان إلى جانب هذا مركز من مراكز العلم واشتهرت مدرستها النحوية بذكر تعارض ما قدمته مدارس أخرى قديمة .

وهذه الصورة لمدينة البصرة لا تزال قائمة في يومنا هذا وان تعدلت بعض ظواهرها فالنخيل والتجارة ومعاهد العلم لا تزال من معالمها المشهورة .

ولا تزال آثار المدينة تشمخ زاهية لتعكس بعضاً من عنفوان الدولة العربية الإسلامية متمثلة في العديد من مساجدها ومراقد أئمتها وطراز الفن المعماري لبيوتها وزخارفها التي تشكل بعضاً مما يتوق السياح لمشاهدته والتمتع بجماله ودقة إتقانه وتصميمه فضلاً عما تتمتع به من مصادر جمالية طبيعية تمتد من إطراف البادية بواحاتها حتى أهوارها وبساتينها التي تزهو بأشجار النخيل التي ترويها عشرات الأنهر التي تتخلل المدينة مستفيدة من ظاهرة المد والجز في شط العرب .

كما لعبت البصرة دوراً بارزا في التاريخ العربي الإسلامي بماضيها العريق ورصيده الزاخر بأمجاد العلم والأدب وموطن المربد الشعري ومحل اجتهاد الأدباء والشعراء كالفراهيدي والحسن البصري وابن الجوزي والأصمعي وابن سيرين والسياب وغيرهم . (مي ، ٢٠٠٥ ، ٣٥).

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة واعتمادا على المعلومات الموجودة في النصوص والمراجع التاريخية والجغرافية القديمة والحديثة منها، فقد تم الكشف عن الجذور التاريخية لنشأة مدينة البصرة ،أول وأقدم مدينة أنشأها العرب المسلمين في العراق في العصر الإسلامي سنة اربع عشرة للهجرة بناءا على الأفكار التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب في اختيار مواضع المدن وما هي العوامل التي أدت الى اختيار موقعها وأهمية ذلك من الناحية العسكرية والجغرافية والاقتصادية ، وأصل تسمية المدينة ووصفها ، وما هي المواد التي استخدمت في بناء المدينة والتطور العمراني للمدينة وما هي القواعد التي اتبعها العرب المسلمين في تخطيط المدينة وتطورها العمراني .

فقد كانت هذه التعديلات تحدد بالماضي من قبل الخلفاء والولاة بوصفهم المسئولين عن إدارة شؤون الدولة فقد أخذوا باستشارة الحكماء وذوي العلم والمعرفة خاصة في اختيار مواضع ومواقع مدنهم. فالإنسان بوصفه الكائن الوحيد المسؤول عن تعمير الأرض يحاول دائماً تحدي عقبات الطبيعة ليصنع منها ما هو الأفضل للاستقرار بحياته. وقد تطورت هذه التعديلات في ظل التطور والتقدم التكنولوجي وأصبحت تحدد بواسطة مقترحات توجيهية من قبل الأخصائيين من كافة العلوم المتنوعة سواء كانوا جغرافيين او مهندسين أو معماريين ..... وهكذا تقرر ومن ثم يتم تنفيذها وفق توجيهاتهم العلمية والتقنية . وقد حظيت مدينة البصرة باهتمام المؤرخين القدامى والمحدثون وقد تناولت دراسة خطط البصرة ومنطقتها في العهود الإسلامية الأولى وأحوالها العمرانية والمالية.

وتزخر كتب التراث الجغرافي العربي بذكر الأمكنة والبقاع في مختلف نواحي الأرض وتتوسع معاجم اللغة في شرح معانيها بالرغم من أن الدراسات الجغرافية الحديثة اقتصرت على الأكثر من تحقيق هذا التراث .

وقد امتازت المراكز الجغرافية القديمة للمدن بالتعبير عن ذاتها رمزياً ببناء مبنى عام أو نصب تذكاري ،وبمرور الزمن تغير التعبير عن الذات باعتماد مباني ذات مقاييس تعكس روحية كل زمن مانحة إياه خصوصية زمانية .

فقد كانت للمدن السومرية قلاع كبيرة أو زقورات (Ziggurats) مصحوبة بالمعابد ومخازن الحبوب ، في حين ضمت أراضي وادي النيل الأهرامات ومقابر الملوك ، وامتازت مدن نهر السند بقلاعها ومدن المايا بأهراماتها المتدرجة ومعابدها. وامتازت المدن القديمة بالتركيب الطبقي حيث كانت تقسم المدن تبعاً للطوابق الاجتماعية والدينية .... أما محاور الحركة فاختلفت كل حسب بيئتها الطبوغرافية والاجتماعية .

المصادر .

١- ابن الفقيه ،أبي عبدا ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، لندن ،١٨٨٤ .
٢- ابن بطوطة ،أبو عبدا محمد بن إبراهيم ،(ت، ٧٧٠ م)، رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ، بيروت، ١٩٦٨ .
٣- ابن حوقل ،أبو القاسم محمد بن علي ،صورة الأرض ،ط ٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٣٨،
٤_ابن خلدون ،ت ٨٠٨ هـ ، المقدمة ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والزبير ، دار الشعب ، القاهرة ، بلا سنة .
٥_البلاذري ، ابو الحسن أحمد بن يحيي ، فتوح البلدان ط١ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٤
٦_ البغدادي ،عبدالصاحب ناجي ،الخصائص التخطيطية والمعمارية للمدينة العربية التقليدية ،مجلة البحوث الجغرافية ،العدد ٣ ،٢٠٠٢ .
٧_باشا أعيان ،عبد القادر ،البصرة في ادوارها التاريخية ، مطبعة دار البصري ،١٩٦١.
٨_الجادر ،عبدالرحمن علي ، مركزية موقع البصرة وهامشيته في صيرورة التاريخ دراسة في الجغرافية التاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الآداب، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ .
٩_الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوي ، المطبعة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٢٦ .
١٠_الحموي،شهاب الدين أبي عبدا ياقوت(ت،٦٢٧هـ)، معجم البلدان، دار الفكر،بيروت، بلا سنة.
١١ - حسين ،عبد لرزاق، نشأة مدن العراق وتطورها ، مطبعة النجف ،.١٩٧٣
١٢_خان ، ميرزه حسن ،تاريخ ولاية البصرة ، دراسة في الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ١٩٨٠ .
١٣_ الزاملي، شاكر مسير لفته، الظاهرة الحضرية في الفكر الجوانب العرب الإسلامي من القرن٤ هـ إلى القرن ٦هـ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، غير منشورة، ٢٠٠٥
١٤_ زيدان ، جيرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، دار الهلال ، القاهرة ،ج ٢ ،١٩٦٦ .
١٥- السامرائي ،عامر حميد ،الصلات الحضارية بين مدن مشرقية ومدن مغربية من القرن الأول الهجري حتى بدايات القرن الثالث الهجري ،اطروحة دكتوراه،غير منشورة ،كلية التربية ،الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤ .
١٦_الطبري،محمد بن جابر ، تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة الأستقامة، القاهرة ،١٩٣٩
١٧_العباسي ، عبدالقادر باش أعيان ، موسوعة تاريخ البصرة ، ج١ ، خطط البصرة ، شركة التأمين للطبع والنشر ، ١٩٧٠ .
١٨_ألعيدان ، مدينة جواد ألعيداني ، تخطيط مدينة البصرة في القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣.

١٩_العلي ،صالح احمد ،خطط البصرة ومنطقتها ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ،بغداد، ١٩٨٥.
٢٠_العلي،صالح احمد ،التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ،دار الطليعة ،بيروت ،١٩٥٣.
٢١_العنزى ،سميرة عبد الهادي عبد الجبار ،النمو الحضري والتطور الوظيفي لمدينة البصرة، اطروحة دكتورا ،غير منشورة ،كلية الاداب جامعة البصرة ،١٩٩٧.
٢٢_عثمان ،اسامة إسماعيل ،التخطيط الحضري في بعض مصنفات العلماء المسلمين دراسة في الفكر الجغرافي ، مجلة البحوث الجغرافية ، العدد ١٠ ، كلية تربية جامعة الكوفة ، دار الضياء، ٢٠٠٨ .
٢٣_كمونة ،حيدر عبد الرزاق ،الفكر الفلسفي الأسلامي وتصميم العمارة العربية ،سلسلة الموسوعة الثقافية، ط١، العدد٩٢ ، بغداد،٢٠١٠ .
٢٤_لويس،معلوف، المنجد في اللغة العربية ،المطبعة الكاثوليكية ، الطبعة التاسعة ، بيروت،١٩٦٦.
٢٥_المقدسي، شمس الدين أبو عبدا محمد البشاري،أحسن التفاسير في معرفة الأقاليم،ط ٣ ، مطبعة بريل ، لندن ،١٩٠٩ .
٢٦_الموسوي ،مصطفى عباس ،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الأسلامية ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ،سلسلة دراسات ٢٩٥, العراق،١٩٨٢ .
٢٧_مانسيون ،لويس ،خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المصمعي ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ،منشورات جمعية المنتدى للنشر، النجف الأشرف.
٢٨_مي ، عبد الجبار تحسين ،استغلال المناطق السياحية والتاريخية لمحافظة البصرة ، رسالة ماجستير ،جامعة البصرة ، غير منشورة ،٢٠٠٥.
٢٩_النجدي ،عبد اللة بن عيسى بن اسماعيل ، تاريخ مدينة البصرة، تحقيق فاخر جبر ، الدار العربية للموسوعات ،ط١،بيروت ،٢٠١٠.
٣٠_ناجي ، عبدالجبار ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، البصرة ١٩٨٦ .
٣١_الهمداني،ابو محمد عبد الحسن،صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة ،القاهرة ،١٩٥٣.
وزارة التخطيط والتعاون الأنمائي ،الجهاز المركزي للأحصاء وتكنلوجيا المعلومات ،المجموعة الأحصائية السنوية لعام، بغداد، ٢٠٠٦.
٣٢_اليعقوبي ،احمد بن يعقوب ،كتاب البلدان ،تحقيق خليل المنصور ، ط ٢ ، دار كتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٢

1) ALL- Kattab, Adill Abudullah, Basrah . City, Astudy In Urban Geograph, Thesis For Degree of Doclor In Geography , University of London 1972 ,p. 7.